موسى الكليم عليه السلام

معجزات موسى:

أهمها وأعظمها:

1 - العصا واليد.

2 - انفلاق البحر.

* * * * * * * * * * * *

موسى كليم الله

كان موسى من بنى إسرائيل ويلقب بكليم الله، وهو ثالث أنبياء من أولى العزم بعد نوح وإبراهيم، وقد جاء موسى بكتاب وشريعة سماوية، وكان يريد أن ينجى بنى إسرائيل من محنتهم.

وموسى بن عمران من سلالة لاوى بن يعقوب الذين كانوا يعيشون فى مصر فى عهد يوسف.

وكان بنو إسرائيل يعيشون حياة المحنة، وبالرغم من كثرة عددهم إلا أن فرعون حاكم مصر لم يقم لهم وزناً لأنه كان من عبدة الأوثان وبنوا إسرائيل من سلالة الأنبياء، فكان يضيق عليهم ويكلفهم بالأعمال الشاقة شأنهم شأن العبيد والرقيق وقد أمَّر عليهم الأقباط المصريين وكان فرعون من سلالة عاد وقد اطلع على قصة عاد وثمود وكان يذل بنى إسرائيل خوفاً من أن ينبعث من بينهم نبى فإنه كان يعرف يعقوب ويوسف وأيوب حيث أنه كان خائفاً من الأنبياء لأنهم يدعون إلى عبادة الله، بينما هو يرى أن الكبرياء يجب أن تكون لله وليس لغيره لأنه كان مقتدراً ومسيطراً، وقد حكم الفراعنة مصر لسنين طوال وأجبروا أهلها على الانقياد لهم.

وفرعون موسى كان أكثر الفراعنة قوة والأحرص على عرشه ودوام حكمه وفى يوم من الأيام أخبره الكهنة بأنهم استنتجوا من خلال حركة النجوم بأنه سيولد خلال هذه السنة

مولود من بنى إسرائيل يأتى بدين جديد وسيكون على يديه هلاكك وسيسيطر بنو إسرائيل على الأوضاع فى البلاد فيجب أن تفكر فى هذا الأمر.

فقال لهم فرعون: لست برجل إن لم أُخيّب آمال بنى إسرائيل إنكم لا تعرفون حقيقة فرعون جيداً.

وأمر فرعون ببثّ العيون فى كل مكان ومن ذلك اليوم إلى مدة سنة بأن يذبحوا كل مولود ذكر يولد فى بنى إسرائيل وأن يبقوا البنات لاستخدامهنَّ.

وقال: الويل لمن لا يخبر عيوننا عندما يولد له ولد.

وضاق العيش على بنى إسرائيل أكثر من السابق، ومن تلك السنة لم يسلم مولود ذكر من القتل على يد آل فرعون.

لقد ظلَّ يراقب المواليد الذكور ويقتلهم وحسب الكهنة حساباً وغفلوا عن تقدير الله فإنه إذا ما أراد شيئاً فإنه سيكون لا محالة.

قال تعالى فى كتابه الكريم: **{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}** [1].

كان عمران من بنى إسرائيل ومعروفًا بإحسانه وعبادته لله، عمله الزراعة والرعى، له ابنة وولد، وامرأته كانت آنذاك حاملاً

(1) سورة القصص، الآيات: 2 - 4.

وعندما وضعت حملها الذى كانت تخفيه عن آل فرعون حيث كان ولداً فأخفته مدة عن الأنظار حيث كانوا لا يؤمنون على أرواحهم وروح مولودهم الجديد لأنهم لم يعطوا خبراً عن هذا المولود، ولا يعرفون ما يفعلون.

وفى المنام رأت أم موسى أحد الملائكة جاء من جانب البحر وقال لها سلمى أمر هذا الطفل إلى الله لأنه إذا كان فى رعاية الله أفضل مما يكون فى البيت، وكانت أمه امرأة عاقلة.

قالت: أوصتنى الملائكة بأن ألقى موسى فى الماء ليذهب إلى ما يريده الله له، فهيئت له تابوتاً ووضعت فيه الوليد وألقته فى اليمّ وأوكلت أمره إلى الله.

لقد كان قصر فرعون مطلاً على نهر النيل الذى أُلقى فيه موسى ومن قضاء الله فقد كانت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون جالسة مع مجموعة من نديماتها وخادماتها على ضفاف نهر النيل، وهى امرأة عابدة لكنها عقيم وكانت فى ذلك الدلال والنعمة تتحرق شوقاً لكى تكون أم ولد وفى جلستها تلك على شاطئ النيل كانت تأمل أن يتحقق أملها هذا، فكانت تزرف الدموع بعيداً عن أنظار الآخرين وفى تلك اللحظات سمعت نداءً من السماء قال لها: إن ألم الطلق ألم لا يطاق وسوف نرزقك ولداً بدون هذه المشقة بشرط أن تحافظى عليه جيداً.

وفجأة تراءى إلى عين آسية شيئاً يسير من بعيد فى الماء يشبه الصندوق فأوعزت إلى خدمها بأن يأتوا لها بالصندوق لعل

فيه شيئاً نرجعه إلى أهله ليستفيدوا منه.

وعندما وصلوا إلى الصندوق وجدوا فيه ولداً، عندها تذكرت آسية دعاءها وصوت المنادى فقالت فى نفسها: إنه هو الذى وُعدت به، فانبسطت أساريرها وعلت وجهها البسمة وقبَّلت الطفل وقالت: ما أجمل وألذ أن يكون لى ولد وأن أصبح أُماً.

فقال الخدمة: إن هذا الطفل ظهر إلينا من بين الأشجار والمياه وتحققت أمنيتك.

فقالت آسية: لنسميه باسم الماء والخضراء، فأسموه موسى وهم فرحين.

وأخبرت آسية فرعون بما حدث وقالت: نتخذه ولداً لكى تقر به عيوننا.

قال فرعون: أخاف أن يكون هو الذى أخبرنى عنه الكهنة.

فقالت له آسية: إن الوقت الذى وعدوا به الكهنة قد انتهى فلا تخف وسنقوم بتربية هذا الطفل مثلما ترغب.

واستدعى فرعون كبير الكهنة وسألهم: ماذا تقولون عن هذا المولود الذى عثرنا عليه فى المياه؟ ولا أدرى من أين جاء؟

أما الكاهن فإنه قد فُجع حديثاً بفقدان ولده فعندما نظر إلى موسى ابتسم موسى فى وجهه فانبسطت أساريره وقال؛ إن الذى قلناه لكم يتعلق بذلك الوقت ونحن الآن لا جديد عندنا من علم النجوم فهدأ روع فرعون وقَبِلَ بالأمر وأخذ على عاتقه تربية

موسى وقال؛ إذا ما بدا منه أمر يسوءنا فإن السلطة وقطع الرؤوس بأيدينا وفرحت آسية واهتمت بتربية موسى، أما الطفل فكان يعانى من الجوع وفقدان من يرضعه فقالت: يجب أن نبحث له عن مرضعة فأحضروا له مجموعة من المرضعات المعروفات ليرضعنه وينلن الفخر بذلك، ولكن موسى لم يرضَ بأى منهنَّ وكان يتلوى من الجوع وآسية مضطربة لا تدرى ماذا تفعل؟

ومن جانب آخر فإن أم موسى علمت أن طفلاً فى بيت فرعون لا يقبل الارتضاع من المرضعات فأرسلت ابنتها لتعرف الخبر فجاءت أخت موسى واطلعت على الخبر، فقالت لهم: إننى أعرف مرضعة هل تريدون إخبارها؟

فقالوا لها: لا بأس لنجرّب.

فسألوها عندما حضرت: من أنت؟ فقالت: امرأة عمران ولدىَّ طفل اسمه هارون ولا يزال يرضع وأستطيع إرضاع هذا الطفل فقالوا لها: إذا قبل هذا الطفل ثدييك فذلك يدعو على الفرح فقالت: آمل أن لا أُحرم من شرف إرضاعه. عندها أعطوها موسى فتقبل موسى ثدييها مبتسماً ومسروراً فرضع حتى شبع واستقر حاله ورجع الحق إلى أهله.

وفرحت آسية واتفقت مع امرأة عمران على إرضاعه، وسأل فرعون عن هذه المرأة المرضعة ولئلا تكون من بنى إسرائيل؟

فقالت آسية: لقد شهد الناس بأن عائلة عمران عائلة معروفة بالإحسان إلى الناس وعدم الأذى والطفل لا يميز بنى إسرائيل من غيرهم، فالناس يرضعون أطفالهم حليب الأغنام والمعزى والبقر فلم أرى طفلاً إلى الآن صار نعجة أو بقرة، فسكت فرعون ولكنه كان قلقاً.

وعلى أية حال فإن موسى كان يكبر ويترعرع فى بيت فرعون وكان فرعون يأنس عندما يرى موسى يلعب فى البيت.

ولنرجع إلى القرآن الكريم لنراه يصوّر لنا ما أوردنا بأحسن صورة: قال تعالى فى كتابه المجيد{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} (1)

وذات يوم كان موسى جالساً فى حجر فرعون فأمسك فجأة بلحيته المزيَّنة بالجواهر بيد وصفعه بيديه الأخرى وأخذ يضحك فى وجه فرعون فغضب فرعون وقال لامرأته: ألم أقل؟! رأيتى كيف صفعنى؟! دعينى أتخلص من شره؟! أنا خائف من هذا

(1) سورة القصص، الآيات:9 - 13.

الطفل.

فقالت لـه امرأته ليس من التعقل ولا يناسب شأنك أن تخاف من طفل بهذا العمر، إنه يلعب ولا يميز شيئاً وسنختبره وسترى، وأمرت آسية بأن يحضروا لـه طبقان أحدهما فيه جواهر حمراء والآخر فيه نار مشتعلة، وأطلقوا موسى ليروا ماذا يفعل بهذين الطبقين، فاقترب موسى وهو فى حالة اللعب من الطبقين فترك طبق الجواهر ومد يده إلى طبق النار وأخذ منه جمرة ووضعها فى فمه فاحترق، فصرخ باكياً. عندها قالت آسية لفرعون: ألم أقل لك بأنه طفل يلعب ولا ينبغى أن يُخاف من حركاته. فهدأ روع فرعون واستمر الحال حتى كبر موسى حيث استمروا بتربيته حسب ما يريدون لكى يطبعوه حسب أوضاعهم، فكانوا لا يسمحون لـه أبداً بالخروج لوحده من القصر بل يرسلون معه مرافقاً بشكل دائم.

ولنرجع إلى حال آسية امرأة فرعون فقد كانت عابدة تُخفى عبادتها لله عن موسى، وكذلك موسى فإنه يعلم أن إظهار العبادة لله فى بيت فرعون أمراً.

ووصل الخبر إلى موسى بواسطة أحد الموجودين فى قصر فرعون وهو مؤمن آل فرعون الذى يسكن فى بيت فرعون فأخبره بأن آل فرعون اتفقوا على القضاء عليه ونصحه بالخروج من المدينة ليأمن شر آل فرعون.

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم يصف ما ورد ذكره:{وَلَمَّا

بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [1].

وعندما علم موسى بتفاقم الوضع ضده وانه لا يستطيع بعد الآن العيش فى بيت فرعون وفى المدينة ولكون ذهابه إلى بيت

(1) سورة القصص، الآيات: 14 - 21.

أبيه سيسبب لـه أذىً وظلماً من آل فرعون توكل على الله وقال فى نفسه: يجب أن أذهب من هنا إلى يوم أُعدُّ فيه نفسى وأرجع لأصفّى الحساب مع هؤلاء الظلمة إن شاء الله، ومن ذلك الوقت أصبحت حياة موسى مهددة بالخطر فخرج من المدينة خائفاً يترقب وأخذ يمشى لوحده فى الصحراء ليلاً ونهاراً مبتعداً عن المدينة إلى أن وصل بالقرب من مدين وبالقرب من مدخل المدينة كان هناك بئر يسقى منه الرعاة ماشيتهم ويستقون منه، وفى ذلك اليوم الذى وصل فيه موسى إلى ذلك البئر كانت ابنتا شعيب هناك تريدان سقى ماشيتهما حيث قام الرعاة بإغلاق فوهة البئر بصخرة كبيرة فعجزتا عن رفعها وكانتا فى حيرة، وعندما وقع نظرهما على موسى قالتا لـه؛ يا عبد الله لولا ساعدتنا على رفع هذه الصخرة من فوهة البئر ولك من الله الأجر والثواب، واستجاب موسى لطلبهما ورفع الصخرة وساعدهما على سقى الماشية، وبعد انصرافهما غسل يديه ووجهه وشرب من ماء البئر وجلس ليستريح حيث أعياه التعب، أما ابنتى شعيب فقد أخبرتا شعيباً بأن رجلاً غريباً ساعدهما على سقى الماشية وانه ليس من أهل مدين فقال لهم شعيب: الأفضل أن ندعوا هذا الغريب لنشكر لـه عمله ونقدم لـه الخدمة مقابل لطفه هذا.

فأرسل فى طلبه، ولبَّى موسى دعوة شعيب ولأنه يكره ان يسير وراء المرأة لكراهة سير الشاب خلف الشابة فقال لابنة شعيب: أنا أتقدم عليكِ وأنتِ أشيرى لى على الجهة التى يجب أن

أتوجه باتجاهها، حتى إذا وصلا إلى بيت شعيب سلَّم موسى عليه حيث قرأ فى وجه شعيب الهيبة والجلال، فقصَّ له قصَّته.

فقال له شُعيب: اطمئن لقد نجوت من القوم الظالمين وفرعون لا يستطيع الوصول إلى هنا لأن مدين خارجة عن نفوذه وسلطانه. واذا كان بإمكانك الإقامة عندنا فتساعدنا فى أعمالنا لأننى شيخ كبير وليس عندى ولد وان هذه المصادقات كلها خير، فأنا أرغب فى أن أزوِّجك إحدى بناتى وتعيش بيننا مقابل القيام برعى الأغنام لمدة ثمان أو عشر إذا استطعت.

وقبل موسى هذا العرض وتزوج ابنة شُعيب وبقى ثمان سنوات يعينهم فى أعمالهم وكان يعيش عيشة راضية، ويوماً بعد آخر كانت بركة الأغنام تزداد وكذلك المحاصيل الزراعية.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف ما جرى لموسى عليه السلام منذ أن خرج من مصر: **{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى**

أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (1).

وبعد مضى ثمانى سنوات قال موسى: بالرغم من شوقى للرجوع إلى مصر لكى أقدم خدمة لبنى إسرائيل ولكونكم قوماً صالحين فسأبقى بينكم سنتين أُخريين.

فقال له شعيب: ومقابل إحسانك هذا سوف أُكافئك بأن أعطيك كل نعجة سوداء تلد فى أغنامى، وبعد سنتين أصبح موسى يملك مجموعة من الأغنام ولتحقيق ما كان يصبو إليه توجه موسى إلى مصر مع زوجته وماشيته مودعاً شعيب وقومه.

وفى لحظات الوداع أهدى شعيب عصاه إلى موسى وقال له: إن هذه العصا ورثتها من أجدادى وستستفيد منها فى أعمالك.

وفى الطريق كان موسى يفكر بما يتمناه ويدعوا ربه أن يمكَّنه من النصرة والغلبة على فرعون وذلك لكى يُقدم خدمة للناس بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ويخلصهم من آل فرعون لتعلو كلمة التوحيد فى كل مكان.

وقضوا فى الطريق ليالىَ وأياماً، وفى اليوم الخامس حيث كان وقت صلاة العشاء عندما مروا من وادى الأيمن حيث هبَّت عاصفة شديدة فتفرقت أغنام موسى وكانت ليلة ظلماء وباردة

(1) سورة القصص، الآيات:21 - 28.

وأخذ الرعد والوميض يصكُّ الأسماع، فلجأ موسى وزوجته التى كانت حاملاً آنذاك إلى تل وأراد أن يشعل لها ناراً ولكنه كلما حاول فلم يوفّق فالحجر لم يولد لهم ناراً يصطلون بها وظل موسى فى حيرة. وفجأة تراءت إلى عينه نارُ من بعيد فقال لأهله: أذهب إلى هناك لكى آتى لكم بنار واتجه إلى جانب النار ومشى مسافة طويلة حتى وصل إلى شجرة كانت منيرة وفى ذلك العالم المملوء بالدهشة سمع موسى نداء يقول: أنا ربُّك يا موسى، وسأله عما فى يده؟

فأجاب موسى: هى عصاىَ أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمى ولى فيها مآرب أُخرى.

فأتاه النداء؛ بأن ألقِ عصاك.

وعندما ألقى موسى عصاه انقلبت العصا إلى ثُعبان فخاف موسى منه.

فأتاه النداء يا موسى لا تخف وامسكها ثانية وأدخل يديك فى جيبك تخرج بيضاء فلما أدخلها فى جيبه خرجت بيضاء منيرة.

وهنا علم موسى عليه السلام أن ما يرجوه قد تحقق وأن الإمداد والنصرة الإلهية قد جاءته وصار كليماً لله فشكر الله على ذلك.

وجاءه الأمر بأن يا موسى إذهب إلى مصر وادعو فرعون إلى الإيمان وبعدها نال موسى درجة النبوة دعا ربه قائلاً **{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا**

قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي}.

وجاءه الجواب بأن دعاءَك قد استجيب وقد عززناك بأخيك هارون.

ولأن موسى تكلم مع الله فقد سُمِّى كليم الله.

ومن هنا توجه موسى فوراً إلى مصر، وعندما رأى أخاه هارون فى الطريق بشَّره بالأمر وأخبره بأنهما أصبحا نبيين وقال له؛ يجب أن نذهب إلى فرعون وندعوه للإيمان ونقوم بإصلاح أمور الناس الدينية والدنيوية.

فقال هارون: كيف يُصدقون كلامنا؟ هل لديك معجزة؟

فأخبره بمعجزة العصا واليد البيضاء عندها اشتدَّ عزم هارون وقال لموسى لنذهب الآن إلى البيت ومن الغد نبدأ بعملنا.

فأجاب موسى: يجب أن لا نتأخر فى الدعوة إلى الحق، أنت إذهب وابدأ بدعوة الناس وزفَّ البشرى إلى الأصدقاء والأقرباء وأنا أذهب من توِّى وبلباس السفر إلى فرعون لكى أقول له كلمة الحق.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف ما جرى لموسى عليه السلام فى طريقه إلى مصر:{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ

عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ...}(1).

وجاء موسى إلى قصر فرعون وتوجه فوراً إلى مجلس فرعون وعندما دخل المجلس قال: اننى أنا موسى وقد أصبحت الآن نبياً وأتيت لكى أقول لك يجب أن تؤمن بالله الواحد الأحد وأن تمتنع من ادعاءاتك الباطلة وأن ترفع يد الظلم والجور عن بنى إسرائيل لأنهم أحرار والعاقبة للمتقين.

وامتلكت فرعون الدهشة عندما رأى موسى لأول وهلة وأخذته الرعدة عندما سمع كلامه لأنه لم يسمع لحد الآن شخصاً يخاطبه بهذا الأسلوب الصريح.

فأجابه فرعون: أن لا تستعجل يا موسى واصبر لقد رُبيت فى بيتنا والآن وبعد أن غبت عنَّا سنين جئت تخاطبنا بهذا الأسلوب الذى يصعب علينا سماعه.

فسأله موسى: ألا يعتبر ظلمك للناس أمراً صعباً عليهم؟

إننى مُرسل إليك كى أكلمك فى بداية الأمر باللين والنصيحة وإذا لم يجد الكلام معك فسوف ترى ما لا يرضيك فقال فرعون: إذا كنت كذلك فإن للأنبياء معاجز.

لقد ذهبت من بيننا بذلك اللباس الفاخر وكنا نعتبرك مجرماً،

(1) سورة القصص، الآيات: 29 - 32.

والآن تتكلم هذا الكلام وأنت ترتدى لباس الرعاة. هل تريد أن آمر بإلقاء القبض عليك ومحاكمتك بجريمة القتل؟

فقال موسى: لقد ذهب ذلك اليوم الذى تستطيع فيه أن تلقى القبض علىَّ وجاء اليوم الذى يجب أن تؤاخذ بما ارتكبته من جرائم، وهاك معجزتى التى تثبت صدق كلامى.

فألقى موسى عصاه وإذا بها ثعباناً يُهاجم الجالسين حول فرعون فصرخ فرعون: يا موسى أُقسم عليك بحق الحنان والعطف الذى شملتك به آسية امسك ثُعبانك ودعنى أفكر.

فأمسك موسى بالعصا وقال: كرامة لقسمك هذا أعطيك مهلة إلى يوم غداً كى تجمع أفكارك وتستعد للإيمان بالحق تعالى وأنا سوف آتى غداً مع أخى هارون.

لنتمم عليك الحجة.

لقد ألقى موسى فرعون فى بحر من الحيرة والدهشة ورجع إلى بيته، أما فرعون فقد تشاور مع المقربين منه وسألهم ماذا سنعمل؟

فنصحوه أن يتكلم معه بلطف وأن عصاه إنما هى سحر يستطيع الكهنة إبطاله.

وفى الصباح عندما جاء موسى وهارون إلى فرعون أخذ فرعون يجادلهما فمرة يتكلم معهما بأسلوب الشدة والتهديد، ومرة باللين.

واستمهلهما قائلاً: إننا نستطيع أن نأتى بمثل عصاك فتصبح ثُعباناً ودعا السحرة لأن يأتوا بسحرهم.

ويوماًعندما جاء السحرة بعصيهم وحبالهم وألقوها فخيِّل أنها تسعى كالحيّات، عندها ألقى موسى بعصاه فأكلت ما صنعوا وشيئاً فشيئاً أخذ الناس يؤمنون بموسى

واشتدت عزيمة بنى إسرائيل، وأما فرعون فقد امتلكه الخوف من جانب ومن جانب آخر كان غير مستعد للتنازل عن ملكه والإيمان بشريعة موسى، وأخذ يماطل لمدة، فمرة يعطى عهداً بالإيمان وأُخرى يطلب مهلة وفى الأثناء كان يرى من موسى معاجز جديدة. وفى النهاية قرر فرعون القضاء على موسى بوسوسة من الشيطان وعبدة الأوثان، أما موسى فكان يريد أن يخلِّص بنى إسرائيل من ظلم فرعون بإخراجهم من أرض مصر ليستقروا فى الأرض التى وعدها الله لهم لكى ينجوا من ذل الحقارة التى كانوا يعيشونها ويرسم لهم طريق العيش الرغيد.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصفُ كيفية ذهاب موسى إلى فرعون:{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}.

إلى أن يقول:{قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لاَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۝ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (1).

واستغل موسى المهلة التى أعطاها لفرعون فأمر بنى إسرائيل ان يستعدوا وأن يحملوا معهم ما يستطيعون حمله ليخرجوا معه من مصر لكى ينالوا ما وعدهم الله به، وعندما اطلع فرعون على نيَّة بنى إسرائيل على الهجرة قال فى نفسه بأنهم يريدون الفرار سأجمع جيشى وأقضى عليهم جميعاً.

وفى الليلة التى كان فيها بنوا إسرائيل خارجين من مصر كانت قوات فرعون تطاردهم وكان البحر فى طريقهم، ولما وصلوا إلى البحر فضرب موسى بعصاه الماء فانشق البحر وأخذ بنو إسرائيل يسيرون فى طريق يابس بين المياه، وعندما اجتازوا البحر كانت جيوش آل فرعون تتعقبهم فى وسط البحر أمر موسى

(1) سورة الشعراء، الآيات 10 - 17، 29 - 48.

ماء البحر بأن يطبق عليهم وغرق آل فرعون وأثناء الغرق نادى فرعون إنى آمنت بربَّ موسى وهارون فجاءه الجواب بأنك من المغرقين ولكنك ستنجى ببدنك لتبقى عبرة للآخرين.

وفى مصر أخذ مؤمن آل فرعون الذى كان حليف موسى يروج الأحكام الإلهية، أما موسى وبنو إسرائيل فإنهم وصلوا إلى صحراء تيه جاسان.

قال تعالى فى كتابه المجيد: **{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}**[1].

أما بنو إسرائيل فكانوا لا يأتمرون بأمر موسى لكى يقوموا ببناء حياتهم من جديد وكانوا يطلبون منه أمور تعجيزية، أما فى أوقات التضحية فإنهم كانوا يتهربون متوسلين بالحجج والحيل والزرائع ولأنهم لم ينقادوا لأمر موسى عليه السلام فإنهم تاهوا فى الصحراء ولم يصلوا إلى الأرض الموعودة، وكان مما طلبوا من موسى أن يأتيهم بكتاب جامع للأحكام وآداب الشريعة فقرر موسى أن يذهب لمدة شهر إلى جبل طور ويعبد الله لينزل عليه الكتاب وأمَّر هارون عليهم لينظم شئونهم، وذهب هو إلى طور سيناء

(1) سورة يونس، الآيات: 90 - 92.

واستمرت مدة غيبته عن بنى إسرائيل أربعين يوماً حسب الإرادة الإلهية، ولما طالت غيبته قام رجل يدعى سامرى وبأمر من الشيطان بنحت تمثال عجل من الذهب وكان له خوار وصوت فقال لهم إن روح الله دخلت فى هذا العجل ولذلك أبطأ موسى علينا وأخذ الناس يعبدون العجل ولا يأتمرون بأمر هارون، وعندما عاد موسى إلى قومه يحمل الألواح التى كُتبت فيها آيات التوراة وجدهم قد ارتدُّوا فغضب موسى عليهم وقضى على السامرى الدجَّال وعجله ووبَّخ هارون على تركه القوم يقومون بهذا الفعل.

فقال له هارون: يا أخى لا تؤاخذنى بمرأى من بنى إسرائيل فإنهم لم يسمعوا كلامى وكادوا أن يقتلونى.

ومن ذلك الوقت تحمَّل موسى الأذى والمشقة فى دعوة الناس للإيمان بما جاء فى كتاب الله.

وقام موسى ببناء مكتبة للتوراة فى بيت المقدس وثبت أركان شريعته، ولكن بنى إسرائيل لم يأتمروا بأمر موسى بشكل مرضى فبعضهم كان يحرص على جمع الأموال مثل قارون ابن عمِّ موسى حيث كان لديه أربعين كنزاً، ولكنه لم يدفع الزكاة وكان يستصْغِرُ موسى إلى أن دعا عليه موسى فابتلعته الأرض.

وبالرغم مما كان يعاني موسى من قومه إلا أنه لم يغضب عليهم سوى مرتين الأولى فى حادثة السامرى والعجل والثانية غضب على قارون، ولم يدعو عليهم بالعذاب ولكن الأذى الذى

نالوه كان أعمالهم، وعندما اقتربت أيام وفاة موسى نصَّبَ يوشع بن نون خليفة من بعده وقال لبنى إسرائيل إعلموا أن عمرى شارف على الانقضاء ولن تنالوا النجاة إلا بطاعة الله، إعملوا صالحاً وتقيدوا بكتاب الله ولا تخلطوا الحق بالباطل.

بعدها ذهب موسى إلى جبل طور ليختلى ويناجى ربه وهناك قضى نحبه وحيداً عن عمر دام مائة وعشرين عاماً.

وقالوا: إن الملائكة تولَّت دفنه وأن قبره غير معلوم الحال إلى أن يشاء الله تعالى.

ما أوتى موسى عليه السلام:

قال الله تعالى:**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}**.

وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاو بن يعقوب. قال كعب الأحبار: كان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون جعد طويلاً وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء.

يروى أنَّ إبليس سئل هل أحببت أحد من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران فقيل له وكيف ذلك فقال: لأن الله تعالى قال وألقيت عليك محبة منى فلم أتمالك أن أحببته. وقد أخبر الله عز وجل أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات (العصا، واليد، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس، وفلق البحر).

وجاء فى تفسير الإمام القرطبى: أن الآيات التسع هى:(العصا،واليد، واللسان، والبحر،والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات) فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين.

وفى سورة الإسراء [الآية: 101]:**{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لاَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا}**.

وقد [1] ذكر فى القرآن الكريم أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام:

أحدها: إزالة العقدة من لسانه وصار فصيحاً.

وثانيها: انقلاب العصا حية.

وثالثها: تلقف الحية حبال السحرة وعصيهم مع كثرتها.

ورابعها: اليد البيضاء.

وخمس أخر: وهى الطوفان، والجراد، والقمل، والضفاع، والدم (والعاشر) شق البحر**{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}**.

والحادى عشر: الحجر**{اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ}**.

والثانى عشر: إظلال الجبل**{وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ}**.

والثالث عشر: أنزل المن والسلوى عليه وعلى قومه.

(1) دلائل النبوة: للإمام البيهقى، ج1، ط الريان.

والرابع عشر والخامس عشر: قولـه تعـالى:**{وَلَقَدْ أَخَـذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ}**.

والسادس عشر: الطمس على أموالهم من النخل والدقيق والأطعمة.

وذكر الله [1] جل شأنه فى القرآن الكريم هذه المعجزات الست عشرة لموسى عليه السلام.

وتخصص التسعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه أما الآيات التسع فقد اتفقوا على سبع منها وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقى الاثنتان ولكل [2] واحد من المفسرين قولا آخر فيهما.

وأجودهما ما روى صفوان بن عسال أن يهودين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبى نسأله فقال: لا تقل نبى فإنه إن سمعك تقول نبى كانت لـه أربعة أعين فأتيا النبى ﷺ فسألاه عن قول الله عز وجل:**{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَـاتٍ}** فقال رسول الله ﷺ: **«لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببرئ إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف شك شعبه وعليكم يا معشر اليهود خاصة لا تقلدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبى قال: فما**

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.

يمنعكما أن تسلما؟، قالا: إن داود دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود» قال: هذا حديث حسن صحيح[1].

الكلام عن بعض معجزات موسى عليه السلام (معجزتا العصا واليد):

قال تعالى: **{قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ}** صدق الله العظيم. معنى قوله تعالى في الآية الكريمة: **{ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ}** الثعبان ذكر الحيات ووصفت هنا بأنها بكونها ثعبانا وفي آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغير ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة.

ولما قال السحرة لموسى عليه السلام إما أن تلقى عصاك وإما أن نكون الملقين قال ألقوا أنتم حبالكم فلما ألقوا حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس وصرفوها عن حقيقة إدراكها **{وَاسْتَرْهَبُوهُمْ}** خوفوهم حيث حولوها حيات تسعى فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت

(1) الترمذي: (5/ 306).

فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر فخروا لله ساجدين وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ولكنها عدمت بقدرة الله تعالى.

فلما ألقى موسى عصاه التى أودعها الله القوة الخارقة فإذا هى ثعبان مبين كما بينا سابقا فتحير فرعون وملكه الكبرياء والفزع ثم قال قوله المتغطرس هل لديك من معجزة غيرها؟

ظانا بذلك نهاية الشوط وأن موسى لابد عاجز ولكن الرسول موسى عليه السلام أدخل يده فى جيبه ثم نزعها فإذا هى شعاع ينبعث منها يكاد هذا النور الذى انبعث منها يأخذ بالأبصار ويذيع وينتشر حتى ليكاد يسد الأفق [1]. ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول.

من معجزات موسى عليه السلام

[الطوفان - الدم - الجراد - القمل - الضفادع - الطمس - فلق البحر]

قال [2] سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة رجع فرعون مغلوبا أى هو وقومه أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادى على الشر فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم من قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا فى الأرض وبغى وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة

(1) قصص القرآن: محمد أحمد جاد المولى، ط دار الفكر بشىء من التصرف.
(2) الفتوحات الإلهية: للجيلى الشهير بالجمل، ط دار الفكر.

ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم:

الطوفـــان:

وهو الماء فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى إسرائيل شىء وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا أن يحرثوا ولا يعملوا شيئا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى فأزال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفت الأرض فلما كشف عنهم ذلك قالوا له والله لا نؤمن لك ولا نرسل معك بنى إسرائيل فنكثوا العهد ولم يؤمنوا فأقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله عليهم:

الجـــراد:

فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر حتى كان يأكل الأبواب وابتلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم يصب بنى إسرائيل شىء من ذلك وعظم الأمر عليهم حتى صارت عند طيرانها تغطى الشمس ووقع بعضها على بعض فى الأرض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله تعالى عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام وفى الخبر: مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم فبعد ما كشف الله عنهم رجعوا وقالوا ما نحن بتاركى ديننا ولم يؤمنوا،

وأقاموا شهرا فى عافية وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم:

القمـــل :

وهو نوع من القراد وقيل: إنه القمل المعروف فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض كان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمص دمه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا، ومنعهم النوم والقرار فصاحوا وصرخوا هم وفرعون إلى موسى أن يدعو ربه فيكشف الله عنهم ورفع عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم ولم يؤمنوا فأرسل الله عليهم:

الضفـــادع:

فملأت بيوتهم وطعامهم فكان الواحد منهم يجلس فى الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع فى فمه وكان يكلأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقة الآخر فدعوا موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم فلما كشف الله عنهم ونكثوا أيمانهم ولم يؤمنوا فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهر فى عافية فأرسل الله عليهم:

الـــدم:

فصارت مياههم كلها دما وكان أحمر خالصا فما يستقون من

بئر ولا نهر إلا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا حتى أن القبطية تأتى المرأة من بنى إسرائيل فتقول لها اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود فى الإناء دما حتى كانت القبطية تقول للإسرائيلية اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فىَّ فتأخذه فى فيها ماء وإذا مجته فى فيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فأتوا موسى وشكوا إليه ما يلقونه وقالوا: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الذلة فنؤمن بك فدعا موسى فكشف عنهم.

ومع كل هذه الآيات وهذا العقاب الذى سلطه الله عليهم لعنادهم وتكبرهم استكبروا عن الإيمان بها وكانوا قوما خاسرين.

معجزة تكليم الله لموسى:

قال الله تعالى:{وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا...} [1].

قال أهل التفسير [2]: لما جاء موسى لميقات ربه وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء فأنزل الله ظله غشيت الجبل من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه المكلفين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش

(1) من الآية رقم (143) من سورة الأعراف.
(2) الفتوحات الإلهية: للجمل، ج1، ط دار الفكر، بيروت.

بارزا وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام.

وكلمه وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق إلى رؤيته تعالى فقال:{رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} وكلمه ربه أى أزال عنه الحجاب حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لأن الله أنشأ له الكلام لأن الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه تعالى السكوت ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة.

فلما كلمه ربه:{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ} هذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير فحجبه عن الرؤية رحمة به لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى.

وفى رواية (1): أمر الله ملائكة السماوات السبع بحمل عرشه فلما بدا نور عرشه سبحانه وتعالى انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى.

وقال ابن عباس: لما وقع النوم عليه تدكدك أما الظهور الجسمانى فمستحيل عليه تعالى، ويروى عن سهل بن سعد الساعدى: أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا. اهـ.

(1) الفتوحات الإلهية: للجمل، ط دار الفكر، بيروت.

معجزة الطمس على أموال بنى إسرائيل:

لما يئس [1] موسى عليه السلام من إيمان بنى إسرائيل وإيمان فرعون دعا موسى وأمن هارون فقال: {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [2] فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم فأصبحت حجارة والنخل والأطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت إحدى معجزات موسى عليه السلام.

معجزة فلق البحر بعصاه:

لما [3] طال الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببنى إسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه فى النيل فاستخرجه موسى وهو فى صندوق فأخذه معه فسار وأمر بنى إسرائيل أن يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئا كثيرا وخرج موسى ببنى إسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون فتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان: {فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [4] يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا أما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا

(1) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير، ج1، ط دار الكتب العلمية.
(2) سورة يونس آية: 88.
(3) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير ج1، ط دار الكتب العلمية.
(4) من الآية رقم (61) من سورة الشعراء.

ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى:{...كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}[1].

وبلغ بنو إسرائيل إلى البحر وبقى بين أيديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط من أسباط بنى إسرائيل طريق فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشباك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئة والطرق فيه فقال لأصحابه ألا ترون البحر قد فرق منى وانفتح لى حتى أدرك أعدائى فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى فشمت الحصن ريحها فاقتحمت فى أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو إسرائيل ينظرون إليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من طين الأرض فيجعلها فى فيه وقال حين أدركه الغرق:{...آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ...} [2]. وغرق وقال جبريل للنبى ﷺ: **«لو رأيتنى وأنا أدس من حمأة البحر فى فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها»** [3]. فلما نجا بنوا إسرائيل قالوا: إن فرعون لم يغرق فدعا موسى فأخرج الله فرعون غريقا فأخذه بنوا

(1) سورة يونس: 90.
(2) أخرجه الترمذى: 4 / 125 وقال: حديث حسن صحيح.
(3) أخرجه الترمذى: 4 / 125 وقال: حديث حسن صحيح.

إسرائيل يتمثلون به. ولهذا قال الله تعالى:{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} أى مصاحبا درعك المعروفة بك: (لتكون) أى أنت آية{لِمَنْ خَلْفَكَ} أى من بنى إسرائيل ودليلا على قدرة الله الذى أهلكك ولهذا قرأ بعض السلف:{لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} ويحتمل أن يكون المراد: ننجيك ببدنك مصاحبا درعك لتكون علامة لمن ورائك من بنى إسرائيل على معرفتك وأنك هلكت والله أعلم.

وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء.

كما قال الإمام البخارى فى صحيحه: عن ابن عباس قال: قدم النبى ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «**ما هذا اليوم الذى تصومونه**» فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبى ﷺ لأصحابه: «**أنتم أحق بموسى منهم فصوموا**» [1]. والله أعلم.

وفاة موسى عليه السلام:

كان [2] موسى عليه السلام زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله وقال النبى ﷺ إن الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال: يا رب أرسلتنى إلى عبد لا يحب الموت قال الله: ارجع له وقل له: يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة، وخيره بين ذلك وبين أن يموت الآن فأتاه ملك الموت وخيره فقال له: فما بعد ذلك؟ قال: الموت قال: فالآن إذا فقبض روحه

(1) قصص الأنبياء: لابن كثير.
(2) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير، ج1، ط دار الكتب العلمية.

وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبى ﷺ فكان موته فى التيه وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة.

* * * * * * * * * *